بولوني من ليتوانية كان مرسلاً لخدمة اهل جلدته المهاجرين الى الولايات المتحدة. واخبرت جرائد اميركة عن بعض النوتية الناجين بالسباحة انَّ الكاهنين اذ شعرا بصدمة السفينة وتحقَّقا الخطر الملمّ بهما جمعا الكاثوليك في معبد المركب وقدَّما الذبيحة الطاهرة وشدَّدا عزائم الحضور بكلام مؤثر ألقياهُ اليهم. واذ أنزلت القوارب عرض البحريون مراراً على الكاهنين ان ينجوا بنفسهما فأبيا بكل شهامة قائلَين انهما يبقيان مع اهل السفينة حتى آخر رمق. ولمَّا حانت ساعة الغرق حرَّضا القوم المحيطين بهم على الندامة وباركاهم البركة الاخيرة فذهبا شهيدي الكهنوت الكاثوليكي كما ذهب غيرهم شهداء الكرم والايثار

وقد جاء هذا المصاب منبِّهاً لافكار كثيرين لاستدراك مخاطر السفن البحريَّة. منها كما سبق معرفة ناموس الجاذبيَّة الذي اشرنا اليه. ومنها نقصان الادوات المُنجية بالنسبة الى عدد المسافرين اذ لو كانت القوارب اكثر عدداً لنجا معظم ركاب تيتانك. وفي هذا الحادث تأكدوا افادة التلغراف اللاسلكي للاستغاثة بالسفن المجاورة لكنهم عرفوا ايضاً ان التلغراف المائي افضل الوسائل لنقل الانباء. فتسمع اشاراتهُ عن بُعد بكل جلاء ويستدلُّ بها بكل ضبط عن مقام النائبة فيسرع السامعون الى اغاثة الملهوفين

ويا ليت هذا الرزء الاليم يزيد الناس تجرُّداً عن الدنيا الزائلة وثقةً بالواحد الصمد الذي في حكمهِ الموت والحياة والذي يضرب ليشفي ويُميت ليحيي

العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

هذا الكتاب الذي اشرنا اليه في عددنا السابق وقلنا اننا نبدي فيه رأينا اذا ما وقفنا عليه. فاليوم وقد حصلنا على نسخة بل نسختين وثلاث منهُ وقد رآه غيرنا في ايدي القراء المسلمين لم يَعد يجوز لنا ان نسكت عنهُ. وهو تأليف متوسط القطع لم يُذكر مكان طبعه (لكنهُ مطبوع في بيروت في مطبعة الاتحاد العثماني) وسنة طبعهِ ١٣٣٠ هجرية يبلغ عدد صفحاتهِ ٢٠٠ ومؤلفهُ محمد طاهر التنير

يقول المثل الفرنسوي ليس كل ما يلمع ذهباً . ويشبههُ قول العرب ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة . فربَّما انخدع ناظر الصُّفر فظنَّهُ ذهباً وربَّما رأى الصياد صدفةً فظنَّها سمكة . ومثل هذا جرى لمؤلف الكتاب الذي صدَّرنا مقالتنا بعنوانهِ فانَّهُ اطَّلع على بعض كتب انكليزيَّة لكتبة اباحيّين او ملحدين عارضوا العقائد النصرانيَّة ببعض خرافات الوثنيين فزعموا ان النصرانيَّة استمدَّت معتقداتها منهم . وهو زعم غريب يكفي النظر فيهِ ملياً ليظهر كذبهُ في اعين العميان فما ظنُّك بذوي البصائر فهذه الخزعبلات والسفاسف عرَّبها محمَّد طاهر التنير لحسبانهِ انهُ وجد منجنيقاً يرمي بهِ سور الدين المسيحي وانَّما شُبه عليه فقط فجاء سهمهُ كفيهِ . ولو شاء لاتيناه بكثير من هذه الخرافات الوثنيَّة لم يعرفها وسبق الى ذكرها كثير من اعداء النصرانيَّة فلم تُفدهم ذرَّة لما ارادوا بيانهُ . فيا لله ولو سلَّمنا لمحمَّد طاهر التنير انهُ وُجدت عند بعض الامم الوثنية آثار التثليث وفداء البشر من الخطيئة وتجسد الاله وولادته من عذراء بتول وازالة الخطيئة بالعماد أفذلك دليل على انَّ النصرانيَّة اخذت هذه المعتقدات من امم غريبة ؟ افيجوز القول بانَّ موسى نبيٌّ كاذب لوجود انبياء كذبة او لكون بعض شرائعهِ قد وُجدت في الدستور المنسوب الى حمورابي ؟ ولكن هيهات ان نسلِّم لهُ بانَّ النصارى اخذوا شيئاً من عقائدهم عن الوثنيين اذ تبعُد المعتقدات المسيحيَّة عن ترَّهات الوثنيين مناط الثريَّا . فاين سرّ الثالوث الاقدس من التثليث النجس الذي قال بهِ بعض الهنود والبابليين ؟ واين تجسد الاله الكلمة من تجسد بعض آلهة الوثنيين ؟ واين صَلب كرشنا الهندي الخرافي من صلب السيد المسيح المشهود لهُ من اعداء الدين المسيحي نفسهم ؟ واين تلك العذارى والدات الآلهة الوثنيَّة من والدة الربّ الاله مريم العذراء التي يعظِّم الاسلام حبَلها الطاهر . . . واين . . واين . . فايمُ الحقّ ما كنَّا لنظنّ انّ الجهل المطبق يؤدي بكاتب الى طبع مثل هذه الاقوال الصبيانية كأنَّ النصارى ليس في ايديهم اناجيل صادقة اثبتَ في العام الماضي حضرة الاب انطون رباط صدقها وقدمها وسلامتها من كل تحريف منذ عهد الحواريين ولم يقم كاتب واحد ينفي من اقوالهِ حرفاً . وكأنَّهم لم يجدوا في هذه الاناجيل اصل معتقداتهم حتى احتاجوا الى ان يطوفوا اقاصي العالم ويستيروها من الامم الهمجية . او كأنهم لا يستطيعون ان يثبتوا تعاليمهم بالنبوات الصريحة التي تسلسلت من عهد

موسى الى التاريخ الميلادي وفيها تعددت كل تفاصيل حياة السيد المسيح منذ مولده الى صعوده الى السماء. وكأن ذاك المسيح كان كبودا الهندي عاش خاملاً مجهولاً في البراري ولم يشهد لاعماله الوف من الناس في فلسطين وبلاد الجليل وسواحل الشام وعبر الاردن بل شهد لهُ المؤرخون المعاصرون غير النصارى كيوسيفوس اليهودي وتاكيتوس الوثني. وكأن ملايين من اعقل البشر واعرقهم بالعلوم وافضلهم بالسيرة امكنهم ان يرضوا ببعض خرافات لا يُعلَم مَنْ قالها ومَتى قالها واين قالها فضحّوا لاجل ذلك حياتهم بين اشدّ العذابات وماتوا كمجانين لاجل دين كان اعمى قلوبهم وافقدهم رشدهم. وقد قام محمّد افندي التنير لينير عقولهم وهو ابن يومه لا يعرف من التواريخ والعلوم الدينيّة شيئاً فيبثّ بين اهل الوطن آراء نقلها عن قوم زنادقة بلا ميزة ولا روية ويمسّ احساسات طوائف شتى تعتبر دينها كأثمن كنوزها

وها نحن ننقد هذه المزاعم فصلاً فصلاً ليعرف الجميع من نصارى ومسلمين انَّ المؤلف ضرب على حديد بارد فلم تجدهِ نفعاً اهانتهُ لديننا الثابت الى الابد

جواب اجمالي

١ انَّ من اراد ان يجادل في الاديان او يقصد المقابلة بينها لبيان صحتها او كذبها لا بُدَّ لهُ من معرفة تلك الاديان التي يتكلّم عنها والّا خبط خبط عشواء. ونحن نعلم ان مؤلف كتاب « العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانية » لا يعرف لا الديانة النصرانية ولا الديانات الوثنية فاقترف في جانب الحق ذنبين

اما كونهُ لا يعرف الديانة النصرانيّة فهو ظاهر من كل صفحة من صفحات كتابهِ اذ يخلط الكاتب بين المعتقدات الجوهريّة التي لا يجحدها احد الّا تبرّأت منهُ النصرانية والآراء التي يذهب اليها بعض الافراد ولم تحدّها الكنيسة. وكذلك شطَّ في العقائد الجوهريّة فتراه يعرضها ممزوجة بامور دقيقة تطمس حقيقتها الاصلية او يصفها وصفاً مخلّاً يخرجها عن صحتها او يكتفي بقشرتها دون ادراك معانيها كذكرهِ لسرّ العماد (في الفصل السادس عشر) ومعارضته بعماد الوثنيين. ثم تجدهُ في ذكرهِ النصرانية ينقل عن كتب ملحدين وبروتستانت وزنادقة ويحلّ اقوالهم محلّ التآليف المسيحية المبنيّة على اثبت الحجج واقوى البراهين. فيشبه بذلك من اراد تعريف

الاسلام استنادًا الى الشيع التي ظهرت فيه والى مزاعم الخوارج

واماً كونهُ لا يعرف الديانات الوثنيَّة فهو أظهر وأبين لانَّ علم هذه الديانات بحرٌ لا تعرف سواحلهُ فانَّ الديانات اليونانية والهنديَّة والصينية والبابلية والفينيقية ليست كالديانة المسيحية التي لها تعاليم يجمع في صفحات قليلة معتقد مؤمنيها في كل البلاد والازمنة بل هي مجموع خرافات واساطير خيالية تختلف اختلافاً كبيراً من بلاد الى أخرى بل من مدينة الى مدينة كما تختلف في بلد واحد من زمن الى آخر. فلا تجد كاتبين من قدماء الكتبة يتفقان على تعريف تلك المذاهب وشرح اصولها وتقاسيمها وتاريخ آلهتهـا حتى ان الخطيب الروماني شيشرون كان يتعجب كيف ان كهنة الاوثان لم يستغربوا ضحكاً من دينهم اذا التقوا ببعضهم. وهذا الاختلاف العظيم لا يزال يشوش علماء زماننا في وصف الاديان القديمة فيثبت الواحد ما يسلبهُ الآخر كما ترى في المجلدات الضخمـة والمجلَّات التي تبحث عن تلك المذاهب وفي مكتبتنا الشرقية منهـا المئات العديدة بينها خصوصاً معاجم الآثار اليونانية والرومانية المطوَّلة التي يحرِّرهـا اكبر علماء العصر فاو راجعهـا محمد طاهر التنير لاستحى من تأليفه في العقائد الوثنية وهو لا يعرف الَّا بعض الكتب الانكليزيَّة البروتستانية المصنفة تفكهةً للعموم

٢ وأتى صاحب العقائد الوثنيَّـة في الديانة النصرانيَّة شططاً آخر وهو انَّهُ لم يحسن وجه المقابلة بين النصرانيَّة والوثنيَّة فلو اراد ان يثبت زعمهُ بان النصارى اخذوا عقائدهم عن الوثنيين لوجب عليـه ان يبين ليس فقط بعض التشابه في المعتقدات ولكن ايضاً انَّ العقيدة الوثنيَّـة سبقت العقيدة النصرانيَّة ليستدلَّ بذلك على انَّ هذه منقولة عن تلك. ولكن هيهات ان يستطيع محمد التنير ان يبين الامر لانَّنا يمكننا ان نتتبع سلسلة كل حقيقة من حقائق الدين المسيحي بالتواصل جيلاً بعد جيل حتى نبلغ زمن رسل المسيح دون انقطاع البتـة . اماً مزاعم اهل الهند والصين والامم الهمجيَّة التي استشهد بها صاحب العقائد الوثنيَّة فانَّها وردت في كتب الهنود والبوديين وغيرهم عدَّة اجيال بعد النصرانيَّة افليس الاحرى بان يقال كما يقرّ اليوم عدد وافر من العلماء بانَّ اصحاب هـذه الكتب دوَّنوا في تآليفهم ما سمعوهُ من دُعاة النصرانيَّة. وزاد هذا القول تأييدًا ما وُجد في العشر السنوات الاخيرة من

آثار تركستان الصينيَّة حيث وقفوا على مآثر لنصارى السريان والنساطرة في تلك البلاد منذ ١٤٠٠ سنة وازيد

٣ ولو صحّ قول محمد التنير انَّ بعض هذه الاقوال الوثنيَّة سبقت التاريخ النصراني ايجوز لهُ القول بان المسيحيين اخذوا عقائدهم عن مزاعم الوثنيين. فنسألهُ ان يفيدنا مَنْ ومَتى وأين وكيف نقل النصارى حقائق ايمانهم عن الامم الغريبة فأشاعوها في اقاصي العالم دون ان يقوم احد ويعنّفهم لسرقتهم معتقدات غيرهم ونسبتها الى مسيحهم ؟ بل ترى اليوم دعاة النصرانيَّة في الصين والهند واليابان وجزائر البحر المجهولة ولا احد من كهنة اوثان تلك البلاد وعلمائها يدَّعي بانَّ النصارى اختلسوا تعاليمهم من اجدادهم. وهل يكفي ان يكون بعض الشبه بين شيئين ايقال ان الواحد فرع من الآخر. فاذا يقول محمد التنير لو زعم الزاعم ان الاسلام اخذ عقيدة توحيد الله عن اهل جزيرة مدغشكار او جنوبي افريقية لانَّ توحيد الله كان قديماً شائعاً عند قبائل تلك البلاد

٤ وزد عليهِ ان المؤرخين على اختلاف بلادهم وازمنتهم ومذاهبهم من يونان ورومان وسريان وعرب يتفقون بلا استثناء في وصف انتشار النصرانية مباشرة من فلسطين حيث السيد المسيح ولد وبشَّر ومات وقام ومنها الى الاقطار المجاورة ثم الاقطار البعيدة فكيف استطاع رسل المسيح ان يستميروا اقوال اهل الهند والاصقاع الواقعة في الشرق الاقصى وهم « لم يعرفوا غير المسيح واياه مصلوباً » كما قال بولس الرسول وخرجوا بامر سيدهم الى انحاء المعمور ليبشروا بالحقائق التي علَّمهم اياها ويدعوا كل الشعوب ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ويصطنعوا الآيات التي صنعها واعظم منها ايضاً. افهؤلاء كانوا مختلسين لخرافات الوثنيين واعتصموا بها حتى قاسوا لاجلها كل العذابات وماتوا بفرح للدفاع عنها ؟

٥ ــ ويا ليت محمد التنير قابل بين النصرانية ودين واحد من الاديان الوثنية لامكنهُ ان يثبت نوعاً حجتهُ لكنهُ اخذ نُتفاً من كل اديان العالم فركبها ليُظهر شبهها بالنصرانية فجاء هذا المجموع كتقليد صناعي ميت لهيكل الانسان الحي او بالحري كذلك الوحش الوهمي الذي وصفهُ الشاعر فزعم انَّ جسمهُ يتألف من مجموع اعضاء الحيوانات كرأس انسان وصدر سبع وجناحي طائر وذنب سمك

٦ ولا تظنّ انّ الفتى محمد التنير راجع الكتب التي دوّن اسماءها في اوّل كتابهِ وانّما نقل تلك الاسماء عن كتب قليلة وردت فيها شواهد تآليف شتى ليوهم القرّاء ان لديهِ مكتبةً واسعةً في علم الاديان والدليل على ذلك انّهُ لم يُحسن كتابة عناوين الكتب ومسخ اسماء مؤلّفيها «كدوبيس ودنلاب» وقد لحظنا في جدولهِ فوق الثلثين غلطة. وبعض هذه الكتب من التآليف التي عتقت فاكل عليها الدهر وشرب فلم يأخذ عنها الّا من كانت بضاعتهُ زهيدة جدًّا. ومنها ما هو لكتبة معادين للدين المسيحي المعروفين بتطرّفهم ممّن صوّروا الاديان الوثنيّة لا على حقيقتها بل على اهوائهم ليبخسوا بذلك شأن الدين المسيحي الشريف فالاستشهاد باقوالهم يقوّض حجة الكاتب فضلًا عن ان يثبتها. فاشبه التنير بعملهِ حاطب الليل وخالط البعرة بالتمرة

٧ واعلم انه في كتاب محمّد طاهر التنير تصاوير آلهة وثنيّة سمجة قبيحة رسمها هناك رجاء ان يُقنع القرّاء بحجتهِ الواهنة. وهذه الصور خياليّة كاذبة في الغالب ما عدا صورة السيد المسيح وموسى النبيّ وكنفوشيوس وزورستر (كذا ولو درى لقال زودشت). فانّ صورة كرشنا الصلوب والثالوث الهندي ووالدات الالهة وما شاكلها اما مخترعات حديثة واما تصاوير لخرافات وثنية ليس بينها وبين النصرانية ادنى علاقة كما سترى. ومنها ما هو بذيّ يندى لنظرهِ الجبين خجلًا فلا نعلم كيف لم يستحي بنشرهِ مع خلاعتهِ ومسيسهِ للآداب

هذا جواب اجمالي يكفي لنقض مزاعم كتاب العقائد الوثنيّة لكننا احببنا ان نستقري اخصّ فصولهُ لنبين لمؤلفهِ انهُ اخطأ الحفرة

١ عقيدة التثليث

نبتدئ بهذه العقيدة التي افتتح بها محمّد طاهر التنير طعنهُ بالنصرانية

قال بطرس الرسول في رسالتهِ الثانية (١ : ١٦) يخاطب النصارى الاوّلين: «انّنا لم نتتبّع خرافات مصنّعة اذ اعلمناكم قوّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئهُ بل كنّا معاينين جلالهُ لانهُ اخذ من الله الاب الكرامة والمجد اذ جاءهُ من المجد الفخيم صوت يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ. وقد سمعنا نحن هذا الصوت الذي جاء من السماء حين كنّا معهُ في الجبل المقدّس. وعندنا اثبتُ من ذلك وهو

كلام الانبياء الذي تحسنون اذا اصغيتم اليهِ كانهُ مصباح يضيء في مكان مُظلم الى ان ينفجر النهار . . . »

هذا كلام موجز قالهُ احد شهود حياة السيد المسيح العيانيين وادناهم الى شخصهِ الكريم وهو مما يجوز تكريرهُ في كل عقيدة من دستور الايمان عموماً وعقيدة التثليث خصوصاً فان رسل المسيح الذين تربّوا في اليهودية وكانوا من عامتها بل من الامّيين ما كانوا ليخترعوا عقيدة كهذه تفوق ادراك البشر لو لم يسمعوها من السيد المسيح ليس مرّة واحدة او مرّتين ولكن دفعات متعدّدة لا تُحصى فاثبتوها في الاناجيل المقدّسة وفي رسائلهم المتتالية بنصوص صريحة لا يمكن تأويلها على طريقة مغايرة لتعليم الكنيسة الكاثوليكيّة . فمن أراد ان ينقض تعليمنا في الثالوث الاقدس قضي عليهِ أن يفعل ببيان احد هذه الامور الثلثة : امّا ان الاناجيل وكتب العهد الجديد ليست من تأليف رسل المسيح وتلاميذه الحواريين . واما ان التعاليم المرويّة هناك عن الثالوث الاقدس وبقيّة اسرار الديانة المسيحيّة قد دُسّت فيها بفعل بعض المزوّرين . واما ان المسيحيين لم يفهموا اقوال الحواريين فحملوها على غير معناها

هذه ثلاثة امور اذا بيّنّا بطلانها بطل معها زعم محمّد التنير وامثالهِ بانّ النصارى اخذوا عقيدة التثليث وبقية العقائد عن الوثنيين

فالزعم الاوّل الذاهب الى انّ الاناجيل ورسائل العهد الجديد ليست لرسل المسيح باطل كما اثبتهُ المشرق سابقاً في المقالة الموسّعة التي نشرها حضرة الاب انطون رباط حيث بيّن بالادلة العقليّة والنقليّة انّ الانجيل الشريف هو حقّاً للاربعة الكتبة الذين هو معنون باسمائهم وقد تتبّع الامر جيلاً بعد جيل الى القرن الثاني بل اواخر الاوّل للميلاد راوياً لشواهد الكتبة الذين عاشوا في القرون الاولى للمسيح وذاكرًا للآيات المتعدّدة التي نقلوها عن الاناجيل القانونيّة حتى لو فقد الانجيل الشريف لامكن جمعهُ من هذه المرويّات . ويُضاف الى ذلك ادلّة أخرى كشواهد كنائس الشرق والغرب وكالآثار الفنيّة من عاديّات وتصاوير ومصنوعات صناعيّة هي كاناجيل حيّة كانت مطمورة في قلب الارض في دياميس رومية او مخزونة في المكاتب والمتاحف ودور الخاصّة ولاسيما المخطوطات الانجيليّة الراقية الى القرن الرابع بحيث يجوز القول ان من ينكر الاناجيل القانونيّة هو جاهل مركّب وغبيّ لا يستحق ان يباحثهُ عاقل

وعالم. وما يقال عن الاناجيل يحق قولهُ عن بقيَّة كتب العهد الجديد كسفر اعمال الرسل ورسائل الحواريين كما اثبتهُ العلماء (راجع الصفحة ٢١)

ومثلهُ الزعم الثاني القائل بفساد الاناجيل وتزويرها فان المشرق خصَّ صفحات واسعة لدحضهِ دحضاً علمياً ولم يتصدَّ لحاجتهِ احد مقيماً عليه النكير في شيءٍ من براهينهِ فلا يمكن عالماً ان يثبت انَّ عقيدة من عقائد الايمان المسيحي دُسَّت في الاناجيل او في كتب الرسل ولو اتى واحد بشيء من ذلك قام الالوف في وجههِ وافحموهُ بالبرهان وبيَّنوا انَّ تلك العقيدة مذكورة في اقدم المخطوطات الانجيلية وفي تأليف اقرب الكتبة من عهد الرسل حتى اواخر القرن الاوَّل للميلاد واوائل الثاني وذلك في لغات شتى كاليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة

فيبقى للمعترض الوجه الثالث انَّ ما دوَّنهُ رُسل السيد المسيح في الاناجيل المقدَّسة وبقيَّة اسفارهم لم يفهمهُ النصارى فحملوا كلام السيد المسيح على غير معناهُ الصحيح

لكنَّ هذا الوجه من القول لم يُفد المعترض ذرَّةً لان كلام السيد المسيح وكلام رُسلهِ الاطهار اضوأ من النور لا سبيل الى تأويلهِ البتَّة الَّا كما يؤوِّلهُ النصارى في اربعة خوافق المعمور. ولانَّ مدار كلامنا هنا عن الثالوث الاقدس فلننقلنَّ بعض آيات الانجيل الشريف واقوال الرسل ليرى كل ذي عينين ان النصارى لم يتمسكوا بشيءٍ الَّا ما اخذوه عن الوحي الالهي

مرجع تعليم النصارى في الثالوث الاقدس الى انَّ الله عز وجل الواحد الصَّمد ذا الجلال والكمال والجوهر الفرد الذي لا يمكن تقسيمهُ او تجزئتهُ البتَّة هو الهٌ عاقل يعرف حقيقة ذاتهِ الالهيَّة منذ الابد وبمعرفتهِ لها معرفةً تامة لا تخلُّ في شيءٍ عن جوهرهِ يفيض على تلك الصورة مجموع كمالاتهِ كانَّهُ هي وكأنَّها هو. تلك كلمتهُ الازليَّة القائمة بذاتها التي لا تقع تحت قول كُنْ. ولانَّها صادرة عنهُ متولدة منهُ عقليًّا دون حركة ولا زمان ولا مكان باقية فيهِ بلا انفصال دعوناها كلمةً ودعوناهُ أباً كما ندعو معقول عقلنا الذي ينتجهُ ذهننا ابن فكرنا او كلمتهُ. وهذه الكلمة تلفظها شفاهنا دون ان تفارق عقلنا وانَّما كلمتنا عرَض وليس في الله تعالى عرضٌ فلا بدَّ من القول ان كلمة الله اله كمصدرها. ولمَّا كان الابن يشبه الآب وهو صورتهُ الجوهريَّة

وجب ان تكون علاقة بين الآب وكلمته فيجب الآب صورته وتنجذب الصورة الى مولدها. وهذه العلاقة ليست عرضاً بل جوهرًا ايضاً وهو الروح القدس الحب المتبادل بين الآب وابنه المنبثق من كليهما

هذا ما يعلمنا الايمان المسيحي وليس شيء من دقائق ذلك التعليم الا مسطر في الاناجيل الاربعة القانونية وبقية اسفار الكتب المقدسة فليفتح المعترض اول انجيل يوحنا حيث يهتف التلميذ الحبيب قائلاً: « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله. والله كان الكلمة . . . وبه قد كوّن كل شيء . . . والكلمة صار جسداً وحلّ فينا » فاي كتاب بابلي او هندي او يوناني او عربي قال كلاماً كهذا يسحر بسموّ ألباب كل العلماء

ويوحنا هو الناقل كلام المسيح: « انا نور العالم . . . انا الطريق والحق والحياة » وقوله « من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الابدية واقيمه في اليوم الاخير » وقوله: « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » وقوله: « انّ الآب فيّ وانا في الآب » وقوله: « من رآني رأى الآب » وقوله: « انا والآب واحد » وقوله عن الروح القدس « اني ارسل اليكم من عند الآب روح الحق . . فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من عنده . . . هو يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم. جميع ما للآب فهو لي فمن اجل هذا قلت لكم انه يأخذ مما لي ويخبركم ». افيوجد كلام اصرح من هذا في وحدانية الله وتثليث اقانيمه فليقلب التنير كل كتب العلماء من اول العالم الى اليوم فان وجد في واحد منها كلاماً كهذا صادقنا على قوله بانّ الدين المسيحي اخذ عقائده عن الوثنيين. فان كلام يوحنا الانجيلي يقضي باحد امرين اما ان يقال انّ المسيح اكبر مجدّف وُجد في العالم بل اكبر المجانين وحاشا جلالة ان يُحكم عليه بذلك واما يُقال انه إله حقًا كما تشهد عليه اعماله التي فعلها ليثبت لاهوته واقرّ بها اعداء النصرانية فضلاً عن تبعتها

وليست الاناجيل متى ومرقس ولوقا مخالفة لانجيل يوحنا ففيها يطوّب المسيح بطرس المعترف بكونه ابن الله الحيّ وفيها يصرّح بانّ الابن وحده يعرف الاب كما انّ الاب وحده يعرف الابن. وفيها يشهد السيد المسيح امام قُضاة اليهود ومجمعهم الاعظم بانّه هو المسيح ابن الله مع علمه بانّ اقراره سيفضي الى الحكم

بوتهِ. وفيها يقول الربّ لتلاميذهِ : « اذهبوا وتلمذوا كل الامم معتمدين اياهم باسم الآب والابن والروح القدس . . . وها انا معكم الى منتهى الدهر »

فليأتنا التنير بقيراط من هذه الاقوال لايّ إله كان من آلهة الوثنيَّة الرجسة النجسة. فهما روى الناسَ عنها من الاكاذيب لم يبلغ بهم الهوس الى ان ينسبوا اليها ما رواهُ رُسل المسيح عن سيدهم. وليست الاناجيل وحدها تروي ذلك بل نرى مثلها في اسفار العهد الجديد كلها كسفر اعمال الرسل ورسائل الحواريين لبطرس وبولس ويعقوب ويهوذا ويوحنَّا. فهي توافق لاقوال الاناجيل الموافقة التامَّة في عقيدة التثليث وبقيَّة العقائد النصرانيَّة. ففيها ورد قول بطرس لليهود : « انكرتم القدُّوس والصديق . . . وقتلتم مبدي الحياة . . . وقد عيَّنهُ الله ديَّاناً الاحياء والاموات ». وفيها يقول بولس : « انَّ الله انشأ الدهور بابنهِ المسيح وهو ضياء مجده وصورة جوهرهِ وضابط الجميع بكلمة قوَّتهِ . . . ولهُ وحدهُ قال منذ البدء : انت ابني وانا اليوم ولدتُك كما ورد في مزامير داود ». وفيها ايضاً يقول يوحنَّا عن لسان المسيح في سفر الرؤيا : « انا الالف والياء البداءة والنهاية الاوَّل والآخر ». ومثلهُ ما رواهُ التنير عن رسالة يوحنا الاولى (٥ : ٧) في الاله الواحد والاقانيم الثلثة

فهذا بعضٌ من عدٍّ وقطرٌ من وبل لا نريد الاطالة فيهِ فراراً من سأم القرَّاء. وتؤيدهُ شواهد كتبَة الكنيسة منذ عهد تلامذة الرُّسل كهرماس في كتاب الراعي وبرنابا في رسالتهِ واغناطيوس الانطاكي في مكاتباتهِ الى الكنائس واقليمس في رسالتيهِ الى اهل قرنتية. وإن تتبعتَ الكتبة الذين تلوهم وجدت يوستينوس الشهيد وايريناوس وبوليقربوس في القرن الثاني للمسيح ثم ترتليانوس وقبريانوس واوسدس في القرن الثالث وكتاباتهم كلها لدينا لا تشذُّ تعاليمهم في شيء عن تعاليم الاناجيل واقوال الرسل في الثالوث الاقدس وبقيَّة العقائد

ومثلها اقوال المجامع التي عُقدت في الاجيال الاولى مباشرةً بمجمع الرسل في اورشليم الى المجمع النيقاوي الكبير في عهد قسطنطين حيث حُرم كل من ينكر شيئاً من تعاليم الكنيسة وعقائد الوحي في الثالوث الاقدس ولاهوت المسيح

يُضاف اليها التصاوير العجيبة التي وجدت في ديناميس رومية مع الآثار العديدة

في جهات الاناضول وغالية وسوريّة ومصر تثبت العقائد ذاتها دون اختلاف البتة

ولا يقولنّ القائل انّ في تعليم النصارى سرّاً لا يدركهُ العقل. اجبنا اننا نقرّ بالسرّ ولا عجب ان يعجز عقلنا عن ادراك اسرار الوحي وهو عاجز عن ادراك اسرار الطبيعة وغاية ما ينبغي على المؤمن ان يتأكد وقوع الوحي فيذعن لله الموحي به

هذه خلاصة تعليم النصارى في التثليث وليست غايتنا ان نتّسع في الامر ومن اراد زيادة ايضاح فليراجع المقالات النفيسة التي نشرها الشرق سابقاً عن بولس الراهب اسقف صيدا، ويحيى بن عدي وعبد يشوع الصوباوي واخيراً مطران نصيبين فجُمعت في كتاب واحد تحت عنوان « مقالات دينيّة قديمة »

*

فلنفحصنّ الآن ما اتى به محمّد النير ليؤيد زعمهُ بانّ عقيدة التثليث عند النصارى مأخوذة عن التثليث عند الوثنيين وقد جمع في كتابهِ في ١٦ صفحة كل ما وجدهُ في كتبهِ الانكليزيّة عن الآلهة الثلثة (Triades) والثالوثات فنقل سطرين او ثلثة من هنا وهنا فالقاها في كشكولهِ كما يفعل المكدّي ليسدّ جوعهُ. فاخذ عن اقاصيص اليونان وخرافات الهنود واساطير المصريين ومزاعم الفرس والرومان وجمعها في قصتهِ فخرجت منها « مخلوطة » تَفِهة لا يبلعها الّا من اعتادت معدتهُ المآكل القذرة

اذا ما درسنا كل ما ورد في كتب قدماء الشعوب ونقلهُ عنهم العلماء الاثبات بخصوص آلهة الوثنيين المثلثة وثالوثاتهم المتعدّدة النجسة ثم قابلناها بذلك الثالوث العظيم الذي لا يحقّ لبشر ان يتكلم عنهُ الّا بكل تحفُّظ ووقار بعد تطهير شفاههِ بجمرة نار كاشعيا النبي (٦:٦) وجدنا انّ وجوه الاختلاف بين تُرّهات الوثنيين والسرّ المسيحي الجليل لا تكاد تحصى والفرق بينهما كالفرق بين السماء والارض فلا تجد اتّفاقاً لا في اصل المعتقدين ولا في حقيقتهما ولا في ثباتهما ولا في معناهما ولا في انتشارهما

١ ﴿ اصل المعتقدين ﴾ رأيت انّ المعتقد النصارى في الثالوث الاقدس مبنيّ كلهُ على اقوال الانجيل الطاهر والاسفار التي كتبها تلاميذ المسيح ممّا لا ينكر صحتهُ الّا الجهّال. لا بل نجد في اسفار العهد العتيق اشارات متعدّدة الى هذا السرّ حتى في اقدم سفر كُتب بيد انسان اعني سفر التكوين لموسى النبي وذلك في تاريخ

الخليقة حيث يُخبر بانَّ الله برأ بكلمته الكائنات واحياها بروحه المُرفَّة على وجه المياه ثم في تاريخ خلقة الانسان حيث استشار الله نفسهُ بقوله « فلنصنعنَّ الانسان على صورتنا » وقوله : « هوذا آدم كواحد منَّا ». وفي تاريخ ابراهيم الخليل حيث ترآى لهُ الربّ على صورة ثلثة اشخاص « فرأى ثلثة وسجد لواحد » كما لحظ قدماً. الآباء.

اما معتقد الوثنيين في ثالوثاتهم فلا يعلم احد اصلهُ فتجد في بعض الاثار ذكر ثلثة آلهة « كمَسُون وراع وفتاح » عند المصريين « وانو وبيل وهيا » عند البابليين و « برهما وفشنو وسيفا » عند الهنود بل تعدَّدت الثالوثات في الأمة الواحدة كما سترى. غير انَّ هذه الثالوثات المركبة من آلهة مختلفة انما جمعها العلماء المحدثون غالباً لا لكونهم وجدوها في الآثار القديمة كاله واحد في ثلاثة اقانيم بل تسهيلاً لدروسهم واستدلالاً على ما يوجد من التقارب في الخواص بين بعض اولئك آلهة الزور البالغ عددهم في كل امة المئين والالوف او اشارةً الى انساب اولئك الاصنام كما تصوَّرهُ كل شعب من الشعوب

٢ ﴿ حقيقة المعتقدين ﴾ هي مختلفة اختلافاً جوهرياً. فانَّ الثالوث الاقدس عند النصارى كلهُ طاهر عقلي اهل بجلاله تعالى لا يبخس من وحدانيته وكمالاته الالهيَّة شيئاً. اما الثالوثات الوثنيَّة فهي نجسة جسديَّة تذلل العزَّة الالهية وتنفي كل كمالاته تعالى. فانَّ الوثنيين اذ رأوا العالم واستدلُّوا بالمعلول على العلَّة تصوَّروا الله في صورة البشر واذ رأوا ان اساس العائلة البشريَّة في ثلثة اي رجل وامرأة وولد جعلوا في السماء مثل ذلك في بدء تكوين العالم فاتَّخذوا في الغالب ثالوثات تتركب من إله ذكر وإلهة انثى اولدا بالتناسل ابناً وهو الاله الثالث. واعطوا الاله الاوَّل ملك السماء وللإلهة ملك الارض ولولدهما ملك الجحيم وهم يسمون الاله « أبا الآلهة » والإلهة « امّ الآلهة ». كعشتروت عند الفنيقيين وكيبال عند الرومان ونين خرساغ عند البابليين وايزيس عند المصريين. وكان للبابليين وللعرب وللأمم الصابئيَّة ثالوث آخر مركب من نيرات السماء. اعني الإله او الإلهة « شمس » ثم الاله « سين » اي القمر ثم كوكب الصبح اي الزهرة وكثيراً ما كانوا يتخذون ثالوثين ثالوثاً ذكراً بازائه ثالوث انثى

اما بُعد هذه الثالوثات عن الكمالات الالهيَّة فيظهر من خواصها لأنها كلها آلهة ماديَّة تتوالد بالتناسل وتتنازع السلطان وتتقدم بينها الكمالات وتشارك البشر في

كل اهوائهم وشهواتهم القبيحة كالزنا والقتل والسرقة فكفى بالاشارة الى كل ذلك حتى يتضح كضوء الشمس شطط محمد التنير في معارضته سرّ الثالوث الاقدس بخرافات الوثنيين وارجاسهم

٣ ﴿ ثبات المعتقدين ﴾ انّ معتقد النصارى في الثالوث كما تجدهُ مدوّناً في كتب الوحي منذ عشرين قرناً تجدهُ اليوم ايضاً في دستور ايمان النصارى دون ادنى اختلاف والكنيسة حافظت على تلك الوديعة الثمينة بكل حرص فاذا كان احد يمسّ هذا المعتقد الّا اسرعت وفندت اقوالهُ فان ارعوى والّا حرمتهُ من شركتها واعتبرتهُ كوثنيّ وعشّار

امّا الثالوثات الوثنيّة فانّ اختلافاتها قد توفّرت فلا تكاد تجد لها في كاتبَيْن وصفاً واحداً بل تراها متباينة كل التباين من مكان الى آخر ومن زمن الى زمن ومن امّة الى اخرى ولهذا لا يستطيع العلماء في ايّامنا ان يقولوا شيئاً ثابتاً عن تعاليم الوثنيين في تلك الخرافات ويهدم الواحد ما زعم بناءهُ الآخر. وكما قال اولئك الشعوب بالثالوثات قالوا بالرباعيات والخاموسات والسباعيات كما ترى في الصور التي نقلناها عنا عن احدث الكتبة واصدقهم كمايندرون (Maindron: *l'Art Indien*) وكروزس (F. Creuzers: *Symbolik und Mythologie*) وكلها مزاعم فرديّة انتجتها التخيُّلات الوهميّة

٤ ﴿ انتشار المعتقدين ﴾ انّ معتقد النصارى في الثالوث الاقدس منتشر اليوم بين ستمائة مليون من البشر اي الكاثوليك والروم والبروتستانت وهم الشعوب الارقى في التمدُّن والعقل والعلم ومع ترقّيهم لم ينبذ بينهم ذلك المعتقد الّا بعض الكفرة المعروفين بالتطرُّف والعناد بل يدافعون عنهُ ويثبتونهُ بالادلّة التي لم يَقوَ على تفنيدها احد لوجودها في مستودع الوحي. واذا دخل مرسلوهم بلداً اقنعوا اهلهُ ببيّنات تعليمهم في الثالوث الاقدس امّا الثالوثات الوثنيّة فكلها بطلت اليوم واذا سألت علماء الوثنيين في الهند والصين وكهنة أمم البرابرة عنها تلعثموا وما دروا ما يجيبون واذا رجعوا الى كتبهم القديمة لم يتفق احد منهم على شرحها وتعليلها كما يروي المرسلون كل يوم في اخبارهم عن تلك الشعوب

وكان بودّنا ان ننقل عنا اقوال العلماء الصادقين عن الثالوثات الوثنيّة لولا ضيق

المجال . ونكتفي فقط بشاهدين عمَّا يدعونهُ بالتريورتي (Trimurti) وهو الثالوث الهندي الذي طنطن بهِ بعض الملحدين وصوَّر محمد التنير صورتهُ (ص ١٨) وزعم انهُ الهٌ واحد في ثلاثة اقانيم . قال السيد لاوتان في تاريخ البرهمانيَّة : Laouenan) (*Le Brahmanisme* I, 7 et II, 178-179 : « انَّ التريورتي عند الهنود يختلف اختلافاً جوهريًّا عن سرّ الثالوث عند النصارى فانَّ الهنود زعموا بانَّ الاله الاعظم خلق ثلاثة آلهة متساوين لكنهم دونهُ مرتبةً لا يمكنهم ان يبلغوا مقامهُ في العظمة وهم يمثلون عظمتهُ في عالم الكون »

« Le Trimurti indien se compose de trois dieux inférieurs, créés par la divinité suprême . . . Ils ne sont que les représentants extérieurs de cette divinité suprême »

وقال العلَّامة الفرنسوي دلا قاله بوسان (De la Vallée Poussin) في كتاب معلوماتنا الحاضرة عن الديانات القديمة (Où en est l'Histoire des Religions (I, 278 : « بئس ما فعل البعض اذ قابلوا بين الثالوث الاقدس ومجموع الآلهة الثلثة « برهما وڤشنو وسيڤا » لان عبدة ڤشنو يعتبرون سيڤا كخادم ڤشنو وعبدة سيڤا يعتبرون ڤشنو كصورة سيڤا وكلاهما يعدّ برهما كاسم بلا مسمى »

« On compare à tort, à la Trinité, le groupe Brahmâ, Vishnou, Çiva ; car pour les vishnouites, Çiva est un domestique ; pour les çivaïtes, Vishnou est un double de Çiva ; pour les uns et pour les antres, Brahma n'est qu'un nom »

فما ابعد محمد طاهر التنير عن الحقّ في ما كتب عن الثالوث الاقدس المسجود لهُ وما كان احراهُ ان لا يلقي بنفسهِ في ابحاث لا يعرفهـا ! وغاية ما يستطيع كل انسان ان يقولهُ بازاء سرّ كهذا ما قالهُ الرسول بولس : « يا لعُمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ وما ابعد احكامهُ عن الادراك وطرقهُ عن الاستقصاء » او ما قالهُ احد كبار العلماء : « اننا لو استطعنا مع ضعف عقلنا ان ندرك اسرار الله لزال كون الله الهاً »

(لهُ بقيَّة)